

الادب والثقافة في الأسبوع

الادب في الإذاعة :

نشرت مجلة الهلال مناقشة عنوانها «هل أدت محطة الإذاعة رسالتها؟» دارت في ناديها بين «محمد توفيق دياب بك» ومحمد فتحى بك والأستاذة مفيدة عبد الرحمن والدكتور نور الدين طراف « وقد بدأ فتحى بك الحديث بأن الإذاعة تؤدي غرضين، غرض التثقيف وغرض التسلية والترفيه عن المستمعين، ثم اقتصر الحديث بعد هذا على الناحية الثقافية بمعناها الأعم الشامل للادب والسياسة والصحة والنسائيات وغيرها. وأكتفى هنا بالكلام على الناحية الأدبية في هذه المناقشة، فأورد أهم ما قيل فيها وأناقش ما يستدعى النقاش

قالت الأستاذة مفيدة : الواقع أننا لا نقدر مدى استماع الجمهور وفهمه لما يسمع، فليست إذاعة أقوال هؤلاء الأدباء معناها الثقافة « ثم قالت : « قد جرت عادة الله تعالى في بث الموعظة أن يسوقها في قالب قصصى محبب إلى نفوس العامة قبل الخاصة. والقرآن الكريم وما سبقه من الكتب المزلزلة لما في أمثال ذلك، فقد ورد فيها من قصص المتقدمين ما فيه عبرة وعظة، مع أن هذه الكتب لم تنزل لسرد القصص والحكايات بل نزلت لإرشاد الناس لما فيه خيرهم وفهمهم، فخبذا لو اهتمدى أدباؤنا الأفاضل بهدى القرآن في وضع الموعظة في مثل هذا القالب « ومما قاله توفيق دياب بك : «فإننا أخالف الأستاذة مفيدة نوعاً ما فيما ذهبت إليه، لأننى عرفت من تجاربي ومما سمعته من كثيرين من طبقات مختلفة كالترددين على المقاهى والأندية العامة أن كثيراً من الجمهور ينتظرون أحاديث الأدباء، وقد يملو التحدث بلغته بحيث ترتفع عن مستوى عامة الجمهور، ولكنهم يتابعون موضوعه ويفهمونه، وذلك لكثرة سماعهم القرآن وخطب الاساجد وكلام الفصحاء، فارتفع مستوى فهم الجماهير حتى سبقت أفهامهم معرفتهم بالقراءة والكتابة ... »

وكان فتحى بك قد قال موضعاً مآلة نجاح الإذاعة في تحقيق

الغرض الثقافى . « لا شك في أنها خدمت الثقافة خدمة كبيرة، ومثال ذلك أن كثيراً من الأدباء الكبار كطه حسين بك وتوفيق دياب بك والأستاذ العقاد وغيرهم كانوا معروفين في العالم العربى لدى طائفة خاصة من القراء. ولكن الإذاعة زادت أسماءهم لماناً وزادت الجمهور تعريفاً بهم ! « وهذا كلام يقف أمامه صف طويل من علامات التعجب والاستفهام، فهل خدمة الإذاعة للثقافة هى التعريف بطه حسين والعقاد وتوفيق دياب ؟ وهل زادت التعريف بهم حقاً أيا أختى ... قل غيرهم !

وقد رد توفيق دياب بك على ذلك بقوله : « هل اعتبر هذا الكلام مناً على الأدباء؟ » وتساءل الدكتور طراف : « هل تذيب المحطة لهؤلاء الأدباء بقصد إظهارهم أو لأنهم أملاً مشهورون ...؟ »

ومما قاله فتحى بك : « أنا أفصد الثقافة بمعناها الأعم، ولكنى ضربت مثلاً بالناحية الأدبية فقد أصبح الجمهور يتذوق كثيراً من ضروب الأدب التى لم تكن معروفة لديه »

فما هى ضروب الأدب التى أحدثتها محطة الإذاعة ولم تكن معروفة لدى الجمهور ؟ إن ما تذيبه من ألوان الأدب هو الأحاديث الأدبية القليلة، وبعض القصص القصيرة، وقراءة بعض الشعراء شيئاً من أشعارهم، وقراءة بعض المذيعين فصولاً من الكتب، وإلقاءهم بعض قصائد شوق وحافظ فى المناسبات ؛ فأى هذا لم يكن معروفاً فى جوهره لدى الجمهور ؟ لقد كان يمكن أن تحدث الإذاعة ضرباً جديداً من الأدب لو أنها أذاعت تمثيلات قصيرة باللغة العربية بدل التمثيلات السامية التى تذيبها أو إلى جانبها، فكانت تحدث فى الأدب « فن التمثيلية الإذاعية » ولكنها تخلفت فسبقتها فى هذا الفن بعض محطات البلاد العربية الأخرى التى لا نستطيع المحطة المصرية أن تقف إلى جانبها فى المفاخرة بما قدمته للجمهور من ضروب الأدب التى لم تكن معروفة لديه

الادب والجمع :

كثيراً ما أشعر بعد الكتابة فى موضوع، أننى لم أوفه حقه وأنى قصرت فى بيان أمره، وأنه فائق أن أذكر شيئاً،

من ذلك ما كتبته غير مرة للتنبيه على ضرورة اتجاه الأدب إلى المجتمع لتعرف أدوائه وتصوير أحواله، وعلى ما ينبئ من تأثر

أكثر ما يكون ، وله أن يقضى بعض الوقت فيها يطيب له من ذرى الفن ومواطن الفكر .

السجل الثقافي :

ورد إلى الكتاب الآتي من الأستاذ محمد سميد المريان مدير إدارة التسجيل الثقافي بوزارة المعارف ، وفيه البيان الكافي لما نوقفنا عنده من أمر السجل الثقافي في المدة الماضية :

عزيزي الأستاذ العباس

قرأت ما كتبته من قريب في الرسالة تنوبها بالسجل الثقافي الذي اعترمت وزارة المعارف أن تصدره في كل عام لتسجيل به مظاهر النشاط الثقافي في مصر ؛ فشكرت لك هذا .

ثم قرأت ما اقتبست لقرائك من رسالة للأديب « البسام » بمتعرض فيها على هذا السجل من ناحيتين :

الأولى : أنه يقتصر على وصف مظاهر النشاط الثقافي خارج جدران المدارس على حين كان الواجب أن يشمل هذا السجل كل مظاهر النشاط في المدرسة وخارج المدرسة .

الثانية : أنه يقتصر على وصف مظاهر النشاط الثقافي في مصر دون غيرها من البلاد العربية التي تجمعها وحدة الثقافة منذ مئات السنين .

وقد عقت يا صديقي بما عقت على رسالة الأديب « البسام » وأحبك قد وافقته على اعتراضه من ناحيته ، ولكنك تركت « لأهل الاختصاص في الوزارة أن يجيبوا بما عندهم » .

وأرى من حق — أو من حقك وحق القراء على — أن أرد اعتراض الأستاذ البسام واعتراضك ؛ فنحن لم نقصد قط حين أخذنا الأهمية لإصدار السجل الثقافي أن نحصره في هذا الحيز المحدود ، ولم يحذف علينا قط ما يجمع بين البلاد العربية من وحدة الثقافة التي تأبى القيود والمحدود ولا تعترف بهذه الفواصل الصناعية التي تجمل البلاد العربية المتحدة بلداً ذات أسماء وعناوين — لم نقصد إلى شيء من هذا ، ولم يحذف علينا شيء من هذه الحقيقة ، وقد قصدنا أن يكون السجل الثقافي الذي يصدر من وزارة المعارف في مصر صورة صادقة التفسير من كل مظاهر النشاط الثقافي في تلك الوحدة الثقافية التي نسميها البلاد العربية . أما إغفال تسجيل النشاط الثقافي في نطاق المدارس فلأن

الأدباء والشعراء وانغمسوا في الأمور الواقعية والأحوال الراهنة ، وتمييزهم عن ذلك كله بطرقهم الفنية .

خلت بعد ذلك كأن أصداء تقول لي : أريد أن يكون الأدباء وعاطفكم يجاهدون بالأمر والنهي ، ويسوقون النصائح المجردة والمواعظ السافرة ؟ أو تريد أن يتحول الأدباء جميعاً إلى باحثين اجتماعيين يدرسون الظواهر ويضمون النظريات ؟

كان ذلك قائماً بنفسى وأنا أقرأ في مجلة « الإصلاح الاجتماعي » فصلاً عنوانه « تجنيد الأدب في ميدان الإصلاح » دعا كاتبه الأدباء إلى أن يتركوا الأبراج الماجية ويحندوا أنفسهم في الحرب الاجتماعية المملنة على الفقر والمرض والجهل ، وبين كيف يعمل الأديب في هذا الميدان بأنه « لا يكشف النقاب عن مهمته وغرضه ، ولا يجهر بنصح أو إرشاد ، ولكنه بأسلوبه الفني يعرض عليك من صور الحياة وحقائق المجتمع وحالات الناس مما تتأثر به نفسك في غير تصريح أو مجاهرة ، فإذا أنت منفعل بما صوره لك وعرضه عليك ، وإذا أنت قد أسلمت عنائك لهذه الصور الفنية وأوليتها عواطفك من حب أو كره ، ومن رضا أو استمزاز » قرأت هذا فوجدته مطابقاً لما أريد من بيان . ويقول كاتب المقال بعد ذلك : « وربما قيل إن الحرية والانطلاق روح الأدب ، فليس لنا أن نقسر الأدب على شيء بعينه ولا أن نوجهه إلى ميدان خاص ، وإلا خرجت آثاره الفنية ضرباً من التكاف والتعمل لا قيمة له . ونحن لا نريد أن نكره الأدباء على الانقياد لخدمة مبدأ من المبادئ خدمة متكلفة ليست مثبثة من صميم النفوس والوجدانات وإنما ندعو الأدباء إلى أن يوجهوا أنظارهم وجهة المجتمع المعرى وأن يتدبروا أحواله الاجتماعية ويفكروا فيها ويشغلوا أنفسهم بها ، فإن فعلوا ذلك فإنهم لا عمالة يتأثرون ومن ثم يواتهم الوحي الفني عن تأثر وانفعال ، فتخرج آثارهم الفنية الاجتماعية طبيعية لا تكلف فيها ولا تزوير »

على أني أسمع أصداء أخرى تشير إلى مسألة تار فيها الجدل واعتكرت حولها الأفلام ، وهي : هل الأدب للأدب أو الأدب للحياة ؟ وأضع بإزاء ذلك ما أراه من أن الأدب المخلق فوق الحياة إنما هو كمال فكري ، أما مطلب الحياة من الأدب فهو من الضرورات . ولا شك أننا الآن — من حيث الجهاد الخارجي والإصلاح الداخلي — أحوج إلى أن يكون أدبنا لحياتنا

ذلك أنها استطلعت آراء بعض الكتاب والمخرجين في أسباب ذلك الإحجام ، ونشرت هذه الآراء .

يرى الأستاذ محمود تيمور بك أن رجل الشارع الذى أوقى حظاً محدوداً من الثقافة لا يستسيغ ولا يقبل على ما يكتبه أعيان الكتاب له ، ولكنه يقبل على روايات الكتاب الماديين المؤلفة أو المترجمة لأنه يجد فيها متعته الحلوة وغذاءه المستساغ

وقال الأستاذ المازنى « إن السينما المصرية تعتمد على عنف الحوادث وعلى المواقف والخطب المنبرية وعلى الفناء والموسيقى إلى آخر هذا . وهذا كله لا يتفق مع فن القصة ، وما دام رجال السينما يطلبون هذا فن البميد جداً أن يجدوا فى كاتب يحترم فنه استعداداً لوضع قصة لهم على هذه القواعد »

وقال الأستاذ زكى طلبات : « سيممل كبار الكتاب للسينما يوم يصبح المنتجون والمخرجون فى عقلية تمائل عقلية كبار الكتاب »

ويستبين من هذه الأقوال أن المنتجين والمخرجين يرون أن الجمهور إنما يقبل على الأفلام المنيفة الحوادث المفعمة بالمواقف والخطب المنبرية والأغاني ، والتي تعتمد مع ذلك على إثارة الفرائز ، والكتاب يترفعون عن هذه الصنائر

ولاشك أن إقبال الجمهور هو أهم شيء فى هذا الموضوع ، ولكن هل الجمهور لا يريد حقاً إلا هذا الذى يقدمونه له ؟ وهل يمرض حقاً عن إنتاج فنى نظيف يحمل إلى عقله ووجدانه غذاء خفيفاً إلى جانب المتعة التى يغالها من أسباب الدعة والتسلية والطرب والتفكهة ؟ وهل قدم له شيء من هذا فأعرض عنه ؟

إن الإنسان ، كما قلت فى مناسبة سالفة ، فنان بالفطرة ، فهو إن لم تنح له وسائل الإنتاج فى الفنون وأدراجه ، فدان « مستهلك » . فجاراة الجمهور فى ميده إلى هذا البهرج إما إن تكون — مع حسن الظن — غفلة عن استغلال ميده الفطرى إلى جمال الفن أو عجز عن تهيبته له ، ومى — مع سوء الظن — تجارة من أرذل التجارات ...

جربوا أيها المنتجون ... وإذا أردتم ألا تناسروا قبل أن تستوثقوا ، فقدموا للطفل الذى اعتاد أن يفرح بـ « عرائس المولد » لعبة من اللعب ذات الفكرة ، وانظروا هل يمرض منها ... « العباس »

ثمة هيئة أخرى فى وزارة المعارف تقوم عليه وتبنى به وتمدد المدة له ؟ فليس من حسن التدبير أن يتكرر العمل ، ولذلك تركنا للقائين على شئون « تكوين التعليم » أن يعضوا فيما هم بسبيله لنفرغ نحن للجانب الآخر من جوانب النشاط الثقافى .

وأما أن يشمل السجل كل مظاهر النشاط الثقافى فى البلاد العربية جيمياً فهذا هدف يقصد إليه وغاية تتنورها على بعد ، ولكننا لا نريد أن نبدأ العمل قبل أن نتجمع لنا أسبابه ؛ ومن أجل ذلك قصرنا برنامجنا — الآن — على تسجيل مظاهر النشاط الثقافى فى مصر حتى نهيأ لنا الأسباب الكفيلة بنهاج العمل على الوجه الذى يتمتع كل مثقف من أبناء العربية فى أى بلادها .

فهذا ما أردت أن يعرفه قراء الرسالة عن هذا الأمر ، ولعل فيه بلاغاً ، وإنى لأشكر لك ولصديقك ما أتحبها لى من فرصة لبعض الحديث عن هذا العمل الذى آمل أن يبلغ مبلغه من النفع العام إن شاء الله .

— كبار الكتاب والسينما :

تضمنت الكلمة التى كتبتها فى عدد مضى من الرسالة بعنوان (السينما بمناسبة « المنتقم ») بيان عيوب فى بناء قصة السينما المصرية كخلوها من الفكرة وقصورها فى تصوير النواحي المختلفة لحياتنا . ويظهر من هذه العيوب أنها ترجع إلى ضعف التأليف أو قل عدم التأليف لأن أكثر الروايات تمحور عن أصول غربية ، يفقدها « التصرف » قيمتها الأصلية ، فتجئ لاشرقية ولا غربية وعندى أن الذين يستطيعون أن يجيروا هذا النقص هم الأدباء الذين يلفتون إلى هذه الناحية ويدرسون دقائق التأليف للسينما ، بممارسة مخرجين لهم ذوق أدبى ومشاركة فى الأدب إلى جانب حذقهم فى الإخراج

وقد أثار هذا الموضوع مجلة « الاستديو » فكتبت بعنوان « أعلام الكتاب فى مصر : لماذا لا يكتبون للسينما ؟ » قالت : « تحمل القصة السينمائية فى مصر طابع الضعف فى التأليف والتفاهة فى الفكرة والمجزى فى إحكام المقدمة الروائية ووسائل حلها . ولما كان كبار الكتاب والأدباء هم عماد القصة فى كل عصر وجيل فما يشير البعض حقاً أن أعلام الكتاب فى مصر قد أعرضوا لإعراضاً ظاهراً من إمداد السينما بوحى أفلامهم » ثم ذكرت المجلة بعد